انطوان صياغ

مدخل الى مستقبل الوعي

نظرة عابرة على تاريخ الحضارات القديمة والحديثة والمعاصرة تكشف وجه الشبه في تكرار الأخطاء نفسها. فكلما تطور الإنسان في وعي المادة، وكلما ارتقى بانجازاته، تغاضى عن النواحي الإنسانية والروحية... والشواهد الكثيرة في حضارتنا المعاصرة هي نموذج، يحوي بشكل او بأخر خلاصة كل ايجابيات وسلبيات الحضارات السابقة.

الكل في هذه الحضارة يسعى للتطور، لكنه تطور منقوص، فهو إما تطور مادي بحت أو تطور روحي يبدو متناقضاً في غالب الأحيان، والدليل على ذلك تكاثر المذاهب والتوجهات العقائدية. وفي خضم هذا السعي المستميت نحو التخمة المادية، وبوجود هذه الظلال المتنوعة الذي احتجب خلفها الجوهر الحقيقي الواحد لكل المعتقدات الإيمانية، فإن انسانية الانسان آخذة بالتراجع والتقهقر أمام سلطنة المادة ولصالح وحش التعصب الديني من جهة، أو غول الإلحاد من جهة أخرى...

ناهيك عن هذه البدع الشاذة المتكاثرة حالياً، والتي تحاول استقطاب واستيعاب الفراغ الفكري والعاطفي الذي تشكو منه الأجيال الصاعدة، هذا الفراغ الناتج عن غياب عنصر الوعي، وعي الإنسان لحقيقته، ولحقيقة مصدره ومآبه، وخصوصاً بسبب افتقاره لوعي الهدف الحقيقي من وجوده... لعل غياب عنصر الوعي هذا أدى كذلك الى ما تشهده الارض حالياً من صراع مصالح متضاربة وغايات متباينة، وما يسببه هذا الصراع من حروب دامية تستعمل فيها شتى أنواع الأسلحة الفتاكة التي تبتكرها «شياطين» الشرّ السائدة حالياً، وكأن هذه «الشياطين» تستمدّ مقومات هذا التطور التكنولوجي الحربي الهائل، مما هو مختزن في وعي الباطن من ذكريات سلطنة الشر التي كانت مهيمنة في أواخر أزمنة ما قبل الطوفان... وعلى الرغم من ان لا مجال للمقارنة بين عبقريّة اليوم بشقيها الإيجابي والسلبي وبين عبقرية ما قبل التاريخ المكتوب، فهي تبدو كنموذج بسيط جداً عنها، اذا ما تمعن المرء اليوم به جيداً لتراءت له صورة كل ما جرى في تلك الأزمنة الغائرة في القدم...

إن مسار التطور الإنساني الذي سجّل وقائعه التاريخ المكتوب يظهر المحطات المهمة في حياة الإنسان حيث، ما كاد يتوصل عباقرة الفكر والإبداع الى اكتشافاتهم المهمة التي كان من شأنها ان تنقل البشر الى مراتب متقدمة من التطور والرقي، حتى كان يزدوج مفعول تلك الاكتشافات ليسلك دربين متناقضين، واحد إيجابي يصب في خدمة الإنسان، وآخر سلبي يسعى الى تدمير الكثير من الإنجازات البارزة.

❖ ❖ ❖

❖ ❖ ❖

نظرة موضوعيّة متجردة على كل ما يجري حالياً تُظهر تناقض هذا التطور التكنولوجي الحاصل وهشاشته، فالمعادلات نفسها التي أدت الى هذا التطور تُستعمل لتقويض دعائمه وأساساته. فاكتشاف الذرة على سبيل المثال لا الحصر، الذي قلب الكثير من الموازين والمقاييس التقليدية، وطوَّر المعادلات التي كانت سائدة، وأكمل بعض حلقاتها الناقصة وأدى الى هذا التطور التكنولوجي السريع، نرى أنه بالمقابل أدى مثلاً الى دمار مدينتي هيروشيما وناكازاكي وتسبب بالكثير من الكوارث اللاحقة، حين سُخِّرت نتائج هذا الاكتشاف العظيم في خدمة الصناعات الحربية، وجعل العالم يعيش هاجس الرعب النووي جراء هذا المخزون الهائل لأسلحة الدمار الشامل... وكأن هذا المخزون يشكل حالياً الانعكاس المادي، الذي يرمز ولو بشكل محدود جداً الى تلك المقدرات اللامادية الهائلة التي تفتحت في انسان الحضارة الأعظم على وجه الارض – حضارة الأتلنتيد، حيث أدى تسخيرها في خدمة الغايات السلبية، التي نوّهنا بها آنفاً، الى أن تكون هي نفسها العالم الذي أدى الى تقويض دعائم تلك الحضارة وفنائها.

فهل سيكون مصير حضارتنا الحالية مشابهاً لا سمح الله؟ أم ان الانسان سيدرك قبل فوات الأوان مغزى هذه الكوارث الطبيعية المتلاحقة والمتنقلة من مكان الى آخر على الارض، الا يمكن ان تكون كمثل تلك الانذارات المتكررة التي سبقت الطوفان الأكبر الذي حدث في غابر الازمان؟...

ان علوم الايزوتيريك تؤكد ان الألفية الثالثة هي المدخل الى مستقبل الوعي في عصر النور والمعرفة... حيث سيدرك الانسان معنى الألم في حياته، وسيتأكد حتماً ان هذا الألم ما كان ليتواجد في حياته لو أنه اختار طريق المعرفة التطبيقية الإيجابية، التي كان من شأنها ان توسع آفاق مداركه البشرية لتنفتح على عالم الحقيقة القائم في أبعاد الوعي، المكون منها كيانه (أي الاجسام الباطنية) والمنعكسة فيها المعرفة الاسمى... هذه المعرفة التي لا يزال الإنسان اليوم يتهيّب (بفعل التربية التقليدية) الدخول الى محرابها المقدس الكائن في مجاهل اللاوعي الإنساني...

أوليس في هذا اللاوعي يكمن ملكوت السماء كما حاول السيد المسيح إفهامنا بقوله: «أن ملكوت الله هو فيكم» (لوقا ١٧ آية ٢١)... أليست معرفة النفس هي السبيل الوحيد لمعرفة كل ما هو قائم خارجها كما ألمح سقراط بقوله «أعرف نفسك تعرف الله والكون»... أليس الإنسان هو «الجرم الصغير الذي انطوى فيه العالم الأكبر» كما قال الإمام علي ابن أبي طالب...

والسؤال، الى متى سيبقى المرء ينتظر العون من السماء متجاهلاً مسؤوليته المباشرة عما يتخبّط فيه من أحزان وآلام؟

أما آن الاوان كي نعي «ان الله لا يغيّر ما في قوم حتى يغيّروا هم ما بأنفسهم» كما جاء في الآية القرآنية الكريمة (سورة الرعد آية ١١). «وبأن السماء لا تساعد من لا يساعد نفسه» كما قال سقراط... فهل سيبقى الانسان يتغنّى فقط بهذه الأقوال الحكيمة دون السعي الى محاولة تطبيق فحواها في حياته، وذلك كي يعي أبعاد معانيها؟!...

لعل الوسائل العلمية والعملية للتطبيق والتحقق أضحت اليوم متاحة لكل مريد، بعد أن كانت فيما مضى حكراً على الخاصة من البشر. وذلك من خلال تقنية الوعي التي تقدمها علوم حقائق الباطن الإنساني – الإيزوتيريك. فمن خلال هذه التقنية سيتمكن المرء من التعرف الى أجهزة الوعي المكون منها الكيان الإنساني (أي الأجسام الباطنية)، التي تشكل المختبَر الذاتي القائم في باطن كيانه. في هذا المختبَر سيتمكن الإنسان بنفسه من اكتشاف حقيقة مصدره ومآبه... في هذا المختبَر سيتعرف الى ماضيه بكل ما حفل به من تطور إيجابي وتقهقر سلبي... وفي هذا المختبَر سيستكشف أيضاً آفاق المستقبل، فيرى بوضوح الهدف الأسمى الذي يتحتم عليه بلوغه... فيسعى حينئذ الى إزالة كل سلبيات الماضي والحاضر التي تقف حائلاً دون بلوغه هذا الهدف... واخيراً وفي هذا المختبَر الذاتي سيستَشفّ عالم الألوهة القائم في كيانه، فيسعى حينئذ الى اخراج هذه الصورة المشرقة من حيّز اللاوعي الى نطاق الوعي، وذلك من خلال العودة مجدداً الى مسار الحق الذي رسمته المشيئة.